العصفورة

محمد شريف

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الأولي يناير ٢٠١٩

الكتاب : العصفورة

الكاتب : محمد شريف

تدقيق لغوي : فارس سعيد

تصميم الغلاف : عماد رشدي

رقم ايداع: 21523

ترقيم دولي: 978-977-85439-3-3

دار سنون للنشر والتوزيع

الزقازيق - الشرقية - مصر

٠١٠١١٤٦٤٠٣٧

sonon. pub@gmail .com

العصفورة

محمد شريف

المدير والكلب

منذ أول يوم لي في العمل وأنا أشعر، شعور يرقى إلى مرتبة اليقين، أن هذا المدير لم يكن يرحب بوجودي ضمن مرؤوسيه، وأنه اضطر فقط إلى قبولي للعمل معه بناءً على أوامر صدرت له من الادارة المختصة بالشركة.

ومع مرور الوقت، ومع طريقة معاملته لي وتمييز الآخرين عني واثقالي بأعباء الوظيفة أكثر منهم، كان ذلك الشعور الكريه يسيطر علي أكثر فأكثر، حتى جاء اليوم الذي هددني فيه - بشكل غير مباشر - بأن الطريق يُمهد الآن للاستغناء عن خدماتي في الشركة.

لا يمكن أن أنسى ذلك اليوم الذي أرسل إليَّ فيه أحد كلابه من الزملاء الأفاضل، والذي كنت أعتبره صديقًا غير مخلصًا، ليخبرني عن نية أحد المديرين اقالتي من العمل لأسباب قال إنه لا يعلمها، في ذلك اليوم ذهبت إلى المنزل وأنا أحمل هموم الفقر والحرمان والخوف من المستقبل على عاتقي، بالاضافة إلى قدر هائل من التفكير لمحاولة التكهن بشخص المدير الذي لا يريدني والأسباب التي جعلته يفكر في اقالتي دون سبب واضح أو سابق انذار.

العمر تجاوز الثلاثين عامًا، والمؤهلات العلمية والوظيفية لا تؤهلني للحصول على عمل آخر بسهولة، وإذا كنت قد تعودت على ندرة النقود أو عدم وجودها، فكيف أستطيع أن أعود ابني الرضيع على ذلك؟!

احساس الخوف والقلق لم يتركني يومًا واحدا بعد هذا اليوم الكئيب، كنت أذهب إلى عملي ومن حين لآخر أحاول أن أتفحص الوجوه المحيطة في محاولة يائسة لمعرفة ذلك الشرير الذي يفكر جديًا في الحاق الأذى بي، وبسؤال بعضًا ممن أوهمت نفسي أنهم مقربون، لم أصل لشيء، بل أن بعضهم حاول طمأنتي بأن الأمور تسير على خير ما يرام.

لكن المدير الذي هددني عن طريق الكلب، كان يفعل كل ما يمكن أن يضايقني ويُعجل برحيلي، بداية من التشكيك في مستوى أدائي في العمل، وصولًا إلى اثقالي بكمية لا تحتمل من المهام الوظيفية السخيفة، مع تذكيري بشكل غير مباشر أنني على حافة الهاوية، ولم أكن أستطع فعل شيء سوى التحمل والاستمرار، وانتظار المصيبة حتى تحدث. .

ومع مرور وقت أكثر دون حدوث شيء، وبالتمعن أكثر وأكثر في كل ما حدث، أدركت أن التهديد غير المباشر وما تبعه من مضايقات، ليس إلا محاولة -تطفيش- لصالح أحد أصدقاء جلسات الحشيش، جاءت في وقت كان عقدي مع الشركة قد أوشك على الانتهاء، على أن يُجدد تلقائيًا، توقيت المحاولة لم يكن عشوائيًا إذن.

مضيت بضعة أشهر خائفًا من المدير، ومن مدير المدير، من جميع المديرين في الشركة، أتعامل معهم بتوجس وحذر، حتى أصبح الخوف يسيطر عليهم جميعًا، وأنا معهم، بعدما علمنا أن الشركة قد بيعت لأخرى وأننا بصدد بعض التغييرات، والتي حدثت بالفعل وأطاحت بهم جميعًا من مناصبهم، تم تجريدهم من سلطاتهم التي أخافتني فترة غير قصيرة، تساوت الرؤوس، ومع زيادة الضغوط عليهم، اضطروا إلى ترك العمل، ذهبوا جميعًا . . وبقيت أنا.

*****

الوجه الآخر

كان السبب الرئيسي لكراهيتي لأحمد عبدالوهاب، هو أنه تلميذ متفوق، كنت أعتبره المنافس الوحيد لي في فصل ٢/٤ بمدرسة السادات الإبتدائية المشتركة، وهو ما كان كافيًا – بالنسبة لي – لكي أكرهه وأتعامل معه بتحفظ شديد لم يمنعني من الذهاب للعب معه أمام منزله بعد انتهاء أحد أيام الخميس الدراسية.

كنت دائمًا أشعر أن سبب كراهيتي له ليس فقط أنه ينافسني في التميز أمام جميلات الفصل، فقد كان هناك سببا خفيا لم أدركه إلا عندما ذهبت معه في ذلك اليوم، لأرى شخص آخر غير الذي اعتدت على رؤيته في المدرسة.

كان يحرص عبدالوهاب على الظهور في المدرسة بمظهر الطالب المتفوق وما يلزمه ذلك من -كماليات- تضاف إلى رصيده من الدرجات المرتفعة التي يحصل عليها في الامتحانات الشهرية، لم يكن يتشاجر مع أحد تشاجرًا معلنًا، أو يتلفظ بأي ألفاظ نابية من شأنها أن تخصم من درجات تميزه، وهو الحرص الذي تخلى عنه في زيارتي له عند منزله، فوجدته منطلقًا متحررًا لدرجة الوقاحة والابتذال، سمعت منه ألفاظًا كنت أشمئز منها وأكاد أختنق عندما أسمعها في أي شارع أمر به، لذا عندما سمعتها منه كانت صدمتي كبيرة، انتابتني مشاعر الاستنكار مختلطة بالذهول وعدم القدرة على تصديق ما يحدث.

ذهبت إلى منزلي متعجلًا والتفكير يكاد يقتلني وسؤال واحد يلح عليَّ بشدة - كيف؟ كيف يكون أحمد عبدالوهاب، التلميذ الذي عرفته شديد الأدب، بهذه الدرجة من الوقاحة والانحطاط؟

كنت أحاول أن أقنع نفسي أنه – أحمد عبدالوهاب – قد قرر في هذا

اليوم أن يبدأ حياة جديدة عنوانها السفالة وقلة الأدب، على خلاف حياته السابقة التي عرفته فيها، بذلت محاولات عدة لاقناع نفسي بذلك، ولكن باءت جميعا بالفشل، ومر اليوم التالي طويلًا ثقيلًا دون أن أصل لإجابة تريحني من عذاب التفكير في هذه المأساة. أسميتها مأساة لا لسبب سوى أننى لم أجد اسمًا ملائمًا لما يحدث.

وجاء يوم السبت الذي سأذهب فيه إلى المدرسة. استيقظت مبكرًا بعد ساعات نوم متقطعة وأنا أتعجل الذهاب لرؤية السافل المنحط كما تعجلت قبلها بأقل من يومين أن أتركه بعد أن شاهدته شخصاً آخر غير الذي اعتدت على رؤيته.

دخلت من باب المدرسة وأنا أتفحص الوجوه باحثًا عنه، ولم أجده حتى انتهى طابور الصباح وذهبت إلى الفصل مع باقي الزملاء على أمل أن أجده جالسًا في انتظارنا، ولم يحدث.

كاد رأسي ينفجر مما أسميته سوء حظ ، ومضت الدقائق الأولى من الحصة الأولى رمادية ثقيلة، حتى دخل الوقح الفصل متأخرًا، وسمحت له المدرسة بالجلوس دون عقاب، معتبرةً أن رصيده من التفوق الدراسي و-الأخلاق الحميدة- يسمح له بما هو أكثر من التأخير.

بعد مرور نحو عشر دقائق من جلوسه، استأذنت المُدرسة للخروج من الفصل تاركة السافل يقف أمامنا لكي يكتب اسم من يحدث شغبًا في غيابها، وهو ما أصابني بالحنق الشديد معتبرًا اسناد هذه المهمة له الآن اهانة بالغة لي أنا بالذات.

مرت دقائق قليلة وأنا أكاد أموت غيظًا، أحاول أن أستجمع شجاعتي لأقف أمام كل التلاميذ المغيبين، لأعلنها صراحةً، لأكشف للجميع حقيقة هذا

الوغد المخادع وأحرضهم على الثورة على وضعي البائس، إلا أن القدر الذي استجمعته من شجاعتي لم يتح لي سوى أن أكسر قواعد المُدرسة وأتحدث بصوتًا مرتفعًا على نحو ما مع لـ لا أحد، ليهددني التلميذ المتميز بأنه سيكتب اسمي في ورقة المذنبين، وهو ما جعلني أستشيط غضبًا وأقف متحديًا ساخطًا لأسبه بأمه، سبابًا من تلك النوعية القذرة التي سمعتها منه يوم الخميس البائس. قلتها له معلنًا التحدي

- مالكش دعوة بي يا ابن القحبة

وكانت المفاجأة. . للجميع، للتلاميذ وللمُدرسة عندما عادت، ولأبي عندما تم استدعاءه للمدرسة، وحتى أحمد عبدالوهاب نفسه فوجىء من سبي له بهذا اللفظ في المدرسة، وداخل الفصل، وعلى مرأي ومسمع من الجميع.

مرت أيام بائسة غير محددة المعالم بعد أن سببته بأمه بذلك اللفظ الذي لم أكن أعلم معناه، قبل أن أصبح محل احتقار الجميع، ويصبح هو في مكانة أعلى مما كان عليه، فهو التلميذ المتفوق المؤدب الذي لا يرد على اساءة وقحة من شخص سافل مثلي.

*****

جلالة الملك

كافة الأمور تسير على خير ما يرام وفي أفضل حال. . .
هذا ما كان يحاول محمد محسن، زميلي في احدى كليات القاع، أن يقنعني به. دائمًا ما كان يحاول أن يطمئنني، أو يطمئن نفسه من خلالي، المذاكرة تسير بشكل جيد، جميع المواد الدراسية سهلة، وجاهزيته للامتحان غير قابلة للتشكيك فيها بأي شكل من الأشكال، والعلاقات النسائية جيدة جدًا، وإذا كانت الامتحانات لم تأت بعد ليكشف لي محمد محسن عن قدراته الدراسية -الهائلة-، فإن العلاقات النسائية ليست بحاجة لانتظار وقت محدد لاثبات مدى جودتها، وهو ما كان يحرص كل الحرص على تأكيده لي من وقت لآخر، يطلب مني أن نذهب عند أحد المدرجات في جامعتنا الفسيحة لـ -مقابلة- فتاة ما، ونذهب وننتظر وتخرج الفتاة من المحاضرة، ويسلم عليها، ويتبادل معها بعض الكلمات الروتينية القليلة و. . . لاشيء. ، تذهب الفتاة إلى وجهتها دون أن تلتفت وراءها التفاتةً واحدةً، ويقف محمد محسن فخورًا بنفسه أمامي، وأمام نفسه، وأمام العالم أجمع، وكيف لا يفخر بنفسه وقد أثبت لي ولنفسه بالدليل أنه -فالانتينو- الجامعة! لقد قابل الفتاة بالفعل، وسلم عليها، وتحدثا لمدة لا تقل عن دقيقتين كاملتين، ياله من شيطان ماكر:

- ازيك يا -فلانة-
- ازيك يا محسن
- عاملة ايه؟
- الحمد لله، وانت عامل ايه؟
- تمام

- عاوز حاجة
- لأ شكرًا
- أوك، باي
- باي

وإن اختلفت الفتيات، فالحوار واحد، نفس الحوار يتكرر كل مرة بين -الفالانتينو- والفتاة، وأنا أقف أتابع في صمت، وبمجرد أن تنصرف الفتاة كسابقتها، أضرب أخماسًا في أسداسًا بيني وبين نفسي وأنا أبحث عما يسميه محمد محسن -علاقة- وعن سر سعادته بانتظاره لفتاة نحو النصف ساعة حتى تنتهي من محاضرتها ويسلم عليها وترحل!

لم يكن محمد محسن – القصير القامة بشكل ملحوظ - يعاني في حياته أية معاناة، حتى عندما قال لي يومًا إنه كان يتمنى أن يصبح طويلًا مثلي، قالها وهو ويبتسم، الأمنية ليست عزيزة على قلبه إذن. نفس الشيء بالنسبة للنقود، يشتري سيجارتين أمريكيتين -فرط- من ماركة مارلبورو أبيض، بخمسين قرشًا للواحدة وهو في قمة الفخر والسعادة، ويقنعني أنه لا يريد شراء علبة -من بابها- لأنه يحافظ على صحته، كما أقنعني من قبل أنه لا يحتاج أن يأخذ مصروفًا كبيرًا من والده لأنه لا ينقصه شيء، كما انه لا يحتاج إلى شراء ملابس جديدة وهو الذي كان يأخذ جولة في أحد فروع -كونكريت- منذ أشهر قليلة.

مرت أيامنا الجامعية على نفس المنوال، أعاني أنا من البؤس والفقر والحرمان، ومحمد محسن ملكًا متوجًا لا ينقصه شيئا سوى -تلميع- تاجه الملكي الأنيق، حتى داهمتنا الامتحانات وانتابني قلق شديد لم يقترب من جلالة الملك، كنت دائمًا أخرج من لجنة الامتحان وأنا قلقًا عابسًا، على عكس

محمد محسن الذي كان يخرج مبتسمًا سعيدًا بما أنجزه. ومثلما داهمتنا الامتحانات بشكل اعتبرناه مفاجئًا، داهمتنا نتيجتها بنفس الشكل، لتعلن عن تحقيق جلالة الملك المتوج انتصارًا عظيمًا في مادة اللغة الانجليزية بحصوله على تقدير جيد، مع رسوبه في باقي المواد. في حين نجحت أنا بتقدير لا بأس به، وأكملت طريقي في الكلية البائسة بمفردي بعدما تم فصل محمد محسن لتجاوزه عدد مرات الرسوب المحددة. ولينتقل إلى كلية أخرى في جامعة أخرى وتصبح علاقتنا شبه منقطعة.

مرت فترة ليست قصيرة بعد أن أنهينا دراستنا الجامعية، ولم أكن أعلم شيئًا عما حققه محمد محسن في حياته، إلا أنني كنت أتذكر رقم هاتفه، ولسبب غير مفهوم اتصلت به وتذكرني بسهولة بمجرد أن سمع صوتي، وهو ما شجعني على أن أطلب لقاءه، وهو ما رفضه بدوره.

- ليه؟ تعالى ننزل نتقابل في أي حتة

- ما ينفعش والله، أبويا وأمي مش بيسيبوني أخرج

- ليه يعني؟

- أصلي حاولت أنتحر من شهر ولحقوني في آخر لحظة.

*****

جنة الصف الأخير

حرص أبي ولمدة أربعة سنوات – هي الأولى لي في المدرسة الابتدائية - على التأكيد علي بأن أجلس في الصفوف الأمامية في الفصل، باعتبارها صفوف التلاميذ المتفوقين، كما هو متعارف عليه بالنسبة لأولياء الأمور ومن ثم بالنسبة لنا كتلاميذ، لذا كنت أحرص حرصًا ليس شديدًا على تنفيذ تعليماته، فكان الصف الثاني أو الثالث على أقصى تقدير من نصيبي بجانب أحد الزملاء، حتى جاء ذلك اليوم الذي علمت فيه مُدرسة اللغة العربية أننا بصدد زيارة غير مرحب بها من موجه المادة الذي كان يقيم أداءها – المُدرسة - بناءً على مستوانا نحن التلاميذ، وفجأة سرت حركة غير عادية يشوبها الارتباك في الفصل، طلبت المدرسة من بعض التلاميذ، وأنا منهم - تغيير أماكن جلوسهم. وتلقيت أمرًا مفاجئًا بأن أجلس في الصف الأخير، وهو الأمر الذي اعتبرته اهانةً بالغةً باعتبار أنني كنت أُعد بالفعل من المتفوقين، فكيف لها إذن أن تعاملني بمثل هذا الاحتقار وتطلب مني الجلوس في مكانًا يعرفه الجميع بأنه مخصص للتلاميذ الفاشلين دراسيًا وأخلاقيًا!

كدت أعترض على ما طلبته مني، ولكن حالة الارتباك التي سادت الفصل لم تعط لي مجالًا لمناقشة المهزلة التي تحدث، فحملت حقيبتي على مضض وتوجهت للصف الأخير بخطوات ثقيلة وأنا لا أرى أمامي سوى خيالات لتلاميذ لم أستطع تمييز ملامحهم بدقة، حتى وصلت للصف الأخير وجلست مكان طالب فاشل وبجانب آخر مثله يُدعى أحمد أمين يونس. وبدأت المُدرسة تشرح لنا خطتها الماكرة التي كانت تحاول بها أن تخدع الموجه، وهي أن تُجلس بعض التلاميذ المتفوقين في الصفوف الأخيرة التي ينوي الموجه اصطياد فرائسه الفاشلين منها، وعندما يسأل واحدًا من المتفوقين

يجيب، وعندما يسأل فاشلًا يقوم المتفوق الذي يجلس بجانبه بتلقينه الاجابة دون أن يلاحظ أحد.

كنت دائمًا ما أنظر الى أحمد أمين يونس باعتباره شخصًا من عالم آخر، فملابسه دائمًا رثة غير مهندمة وحقيبته لا تختلف كثيرًا عنها وعن وجهه الذي كنت أراه متربًا غير مريحًا على الاطلاق، جلست بجانبه وأنا أتعجل مرورالدقائق ليأتي الموجه وينهي مهمته اللعينة، وجاء بالفعل وسأل أحمد أمين يونس سؤالًا استطعت ان ألقنه اجابته دون أن يلاحظنى الموجه الذي سعد كثيرًا بمستوى الفصل الذي استطاع أحد تلاميذ صفوفه الخلفية أن يجيب على سؤالًا منه، وفرحت المدرسة وفرحت أنا أيضًا بقدرتي على أداء الدور المطلوب مني، وبدأت أستريح في جلستي وأنظر حولي لأكتشف المكان الذي ما كنت أتخيل نفسي جالسًا فيه أبدًا، نظرت إلى أحمد أمين وأنا فخور بقدرته على غش الاجابة مني بسهولة، وانتقلت بنظري لتلميذ آخر وآخر وآخر، انتقلت بنظري على جميع التلاميذ بما فيهم حسن محمد جمعة الجالس في مكاني، وبدأت أكتشف سحر هذا المكان الذي أستطيع وأنا جالس فيه رؤية كل التلاميذ ومتابعتهم بشكل جيد، كما أنني أستطيع التحدث مع الزملاء القريبين دون أن أثير غضب أي مدرس أو مدرسة ، خرج موجه اللغة العربية وهو سعيد من مستوى التلاميذ واصطحبته المدرسة وعادت لنا وأعادت كل تلميذ إلى مكانه، فوجدت نفسي أجلس في مكاني الأصلي مقيدًا حتى انتهت الحصة وتلتها حصة أخرى.

وانتهى اليوم الدراسي وذهبت إلى المنزل وأنا أفكر فيما حدث لدرجة أنني لم أستطع النوم جيدًا فقد كنت أتعجل الذهاب للمدرسة التي لم أكن أحبها كثيرًا.

ذهبت إلى المدرسة في اليوم التالي وأنا أتعجل انتهاء طابور الصباح الذي كنت أنظر له دائمًا باعتباره عقابًا يوميًا، وذهبنا إلى الفصل، الذي حرصت على أن أكون أول من يدخله حتى أستطيع الوصول إليه بسرعة، إلى المقعد الأخير، وجلست عليه وطلبت من حسن محمد جمعة أن يجلس في مكاني، جلست بجانب أحمد أمين يونس، جلست وأنا أتحسر على الثلاث سنوات التي أضعتها حبيسًا ما بين الصفين الثاني والثالث.

*****

البلوفر الأزرق

ديسمبر ١٩٩٨

وقع غرامي فيه منذ أن رأيته لأول مرة معروضًا في فاترينة المتجر الأنيق الواقع بأحد الأحياء الراقية التي كان يسكن بها أحد أقاربي، كنت أعلم جيدًا، بمجرد أن وقعت عليه عيني، أن مقاسه مناسبًا لي، كما كنت أعلم أن سعره المرتفع سيقف عائقًا منيعًا في سبيلي للحصول عليه، ذلك البلوفر الأزرق الذي يحمل نقوشًا مبهجة جذبتني إليه بمجرد أن رأيته.

كانت أمي ترسلني من وقت لآخر إلى منزل أخيها لكي أقضي لها بعض الأمور العائلية، وفي أحد المرات كنت أمر أمام المتجر وتوقفت بشكل مفاجىء بمجرد أن رأيت البلوفر، ورحت أتأمله باعجاب شديد وسعادة قتلتها بداخلي وأنا أذكر نفسي بأني لن أستطيع دفع ثمنه. وتابعت سيري مضطرًا لكي لا أتأخر عن موعدي. وفعلت ما طلبته أمي، قبل أن أعود للبيت وأنا لا ستطيع أن أتناسى البلوفر الأنيق. ولا أستطيع أن أطلب من أبي أن يشتري لي بلوفر ثمنه ٩٥ جنيهًا.

ومرت أيام ليست قليلة حتى أرسلتني أمي مرة أخرى لنفس المكان. ذهبت فرحًا متعجلًا لأرى البلوفر الذي كان في نفس مكانه وكأنه ينتظرني أن أقتنيه.

وتكررت زيارتي له من وقت لآخر، كنت أعلم جيدًا أنني لا أستطيع الحصول عليه، ولكن نظراتي المتأملة له كانت تبعث بنفسي الأمل، فقد كنت أتخيل نفسي وقد ارتديته وانتقلت من حال إلى حال.

ومرت أيام وأيام وأصبحت مشاهدتي للبلوفر أحد أهم أسباب سعادتي،

حتى كفت أمي عن ارسالي لقريبي، ولكني لم أنقطع ع زيارة البلوفر، فكنت أنتهز الفرصة من وقت لآخر لأذهب خصيصًا لمشاهدته، تلك العادة التي انقطعت مع مرور الوقت وانشغالي بأشياء أخرى اقتنعت في وقتها أنها أهم من مشاهدة بلوفر لا أستطيع الحصول عليه.
ورغم انقطاعي عن زياراتي المعتادة للبلوفر، فإنني كنت أتذكره من وقت لآخر وأحلم به وقد أصبح ملكًا لي، ومرت شهور وسنوات وانشغلت أكثر وأكثر، حتى جاء ذلك اليوم الذي حصلت فيه على وظيفة بعد أن أنهيت دراستي الجامعية.

يناير ٢٠٠٩
مضى أول شهر لي في العمل ثقيلًا مملًا، ولكن نهايته أنستني كل المتاعب التي عانيتها كموظف جديد، حيث حصلت على أول راتب لي في حياتي. لم يكن مبلغًا كبيرًا ولكنه كان أكثر مبلغ أمتلكه في حياتي. خرجت من عملي مهرولًا وأنا أخبىء النقود بحرص شديد خشية ضياعها، وصلت إلى البيت وأفرغت محتويات جيبي أمامي على السرير وانتابني شعورًا خفيًا بأنني بهذا المبلغ أمتلكت العالم كله. . باستثناء شيء واحد لم أستطع تحديد هويته.
ورحت في نوم عميق وأنا أحتضن ثروتي الهائلة. وجاءني بعد غياب استمر لسنوات عديدة. . جاءني البلوفر الأزرق في الحلم، فاستيقظت من نومي وأنا ارتجف والتفت بجانبي على السرير لأتأكد أن النقود مازالت معي.
ارتديت ملابسي على الفور وخرجت إلى الشارع في طريقي إلى المتجر اياه. .
وصلت في ساعة متأخرة من الليل لأجد متجر الملابس الأنيق وقد تحول إلي

مطعم شعبي. . وقفت أمامه محملقًا وأنا أكاد لا أصدق نفسي، واقتربت منه أكثر وأكثر حتى وجدتني دون أن اشعر واقفًا أمام موظف الكاشير الذي سألني عن طلبي، فمددت يدي في جيبي وأخرجت ورقة من فئة المئة جنيه وقلت له باقتضاب:

- واحد فول وواحد طعمية

أعطاني ورقة صغيرة مكتوب فيها ما طلبته بقيمة ٥ جنيهات وهم باعطائي باقي المئة جنية ولكنني رفضت وتركتها له وأخذت الساندوتشين ورحلت.

. ولم أحلم بالبلوفر مرة أخرى. . وأكاد أجزم أنني نسيته تمامًا.

*****

محمد علي

استطاع محمد علي أن يحقق رقمًا قياسيًا أبهرنا جميعا عندما ضُرب على يده بالعصا، من أستاذ عوض، مدرس العلوم، نحو ٦٥ ضربة ولم يذرف دمعة واحدة من عينيه رغم قوة الضربات وقسوتها. وبقدر ما أبهرنا في هذا اليوم بقدر ما أثار سخريتنا، في يوم آخر، عندما فاجأ أستاذ جمال، مدرس التاريخ، بسؤاله قائلًا:

- طب احنا نعرف منين ان الناس اللي الكتاب بيحكي عنهم دول كانوا موجودين فعلًا؟

بالطبع كان السؤال مفاجئًا لنا ولمدرس التاريخ الذي سخر من -علي- معتبرًا سؤاله اضافة جديدة للخيبات التي اعتاد أن يجنيها في الامتحانات الشفوية والتحريرية المعتادة. وسخر منه وأضحكنا عليه وشجعنا على السخرية منه نحن أيضًا، فكيف يجرؤ محمد علي، التلميذ البليد في الصف الثالث الاعدادي، أن يشكك في وجود محمد علي باشا، مؤسس الدولة المصرية الحديثة، وسعد باشا زغلول، قائد ثورة ١٩١٩، والملك مينا، موحد القطرين، وغيرهم من عظماء التاريخ؟ نحن جميعًا متأكدون من أنهم كانوا موجودون وفعلوا ما ذكرت كتب التاريخ أنهم فعلوه، فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكذب كتب التاريخ وتختلق أحداثًا وشخصيات غير حقيقية، الأمر غير قابل للشك اذن، حتى بعد أن تجرأ محمد علي وسأل سؤاله الغريب، لسنا بحاجة حتى إلى مجرد التفكير في سؤال تلميذ بليد كنا نتنبأ له بالالتحاق بمدرسة الصنايع الثانوية مع أقرانه من الفاشلين.

ومرت السنة الدراسية بأحداثها المعتادة ومحمد علي يُضحكنا من وقت لآخر بأسئلته المدهشة، حتى أنهينا عامنا الدراسي الأخير في مدرستنا الاعدادية

والتحق معظمنا بالمدارس الثانوية العامة.
في الشهور الأولى لي في المدرسة الثانوية، قابلت محمد علي مصادفةً في الشارع، وابتسمت على الرغم مني قبل أن أسأله عن المدرسة التي التحق بها وأنا شبه متأكد من أنها مدرسة صنايع، ولكنه فاجأني بقوله:
- أنا دخلت تالتة اعدادي
لقد رسب محمد علي، وعلمت منه أنه الوحيد الذي رسب من بين جميع الزملاء في صفنا الثالث الاعدادي.
بعد مرور بضعة سنوات، وخلال دراستي الجامعية، كنت مطالبًا بعمل بحث أجبرني على قراءة كتاب سياسي يحوي بعض المعلومات التاريخية.
فوجئت في أحد فصول الكتاب الذي كان يتحدث عن العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ بمعلومة تفيد بأن أيزنهاور، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الوقت، هو من أجبر العدوان الثلاثي على الانسحاب من مصر. هذا ما ذكره الكتاب الذي قام بتأليفه عالم تاريخ معروف. وهو الأمر الذي كان بمثابة صدمة بالغة لي افقدتني توازني وجعلتني أرجع إلى كتب التاريخ التي درستها في المدرسة والتي تؤكد أن المقاومة الشعبية الباسلة لشعب بورسعيد هي من نجحت في طرد العدوان الثلاثي من مصر.
وهنا رُحت أفكر، لأول مرة، في هاتين المعلومتين المتناقضتين، المعلومة الثانية تجزم أن أزينهاور هو من أجبر العدوان الثلاثي على الانسحاب، ويوضح الكاتب سبب فعل أيزنهاور لذلك، فقد كان يميل، في هذا الوقت، لكفة لعرب ضد إسرائيل التي سيغرقها العرب في البحر بمنتهى السهولة – كما كان يعتقد.
أما عن المعلومة الأولى فهي أشبه بأحداث بعض الأفلام الهندية أو فيلم

٣٠٠ المبني على أحداث أسطورية، كيف يستطيع شعب بورسعيد المدني بأسلحته الخفيفة أن يطرد اسرائيل وفرنسا وبريطانيا التي كانت عظمي في ذلك الوقت؟ وكيف صدقت أنا هذه المعلومة وتقبلتها دون أن أفكر فيها ولو لدقيقة واحدة؟

كيف لم أستيقظ من ثباتي العميق عندما سأل محمد علي سؤاله الجهنمي؟ لماذا وثقت في كتب التاريخ هذه الثقة العمياء وكأنها كتبًا سماوية من عند الله؟! أسئلة كثيرة دارت في رأسي وأنا أتذكر محمد علي ولا أملك إلا أن أشعر بالندم تجاه سخريتي منه. . وأنا أتمنى أن أقابله وأعتذر له عما بدر مني في حقه عندما فعل ما كان يجب علينا جميعًا أن نفعله.

*****

العصفور

عاش حازم عصفور سنوات، ليست بالقليلة، من عمره وهو يلعق أحذية مديريه وكل من يقابلهم في طريقه من أصحاب النفوذ، حتى استطاع أن يجني ثروة لا بأس بها من أرقام هواتف رجال السلطة بمختلف درجاتهم، إلى جانب رصيدًا محترمًا في أحد البنوك، وسيارة فارهة بسائق خاص، ومرتبًا شهريًا يصعب على شرفاء مهنته الحصول عليه.

كان يُحسب -عصفور- على مهنة الصحافة رغم أنه لا يستطيع أن يكتب خبرًا واحدًا بصياغة صحيحة، ولكن علاقاته ببعض المسئولين كانت كافيةً بالنسبة للكثيرين لكي يكتسب صفة صحفي.

كان وجوده كصحفي في المؤسسة التي أعمل بها أمرًا لا يؤرقني كثيرًا طالما أنه بعيدًا عني ولا توجد علاقة بيننا سوى أننا نعمل في نفس المكان الذي أصبحت رائحة الفساد تفوح من كل ركن من أركانه.

حتى جاء ذلك اليوم الذي ترقى فيه -لاعق الأحذية- وأصبح مديرًا للقسم الذي أعمل فيه، وتعرفت عليه عن قرب واكتشفت أنه ليس مجرد منافق على علاقة ببعض المسئولين فحسب، بل هو شخص يعاني خللًا ما في وظائف المخ يكاد يصل لحد الجنون.

كان لديه هوس غير طبيعي باستخدام هاتفه الجوال الذي يُعد رأس ماله في الحياة بما عليه من أرقام هواتف المسئولين الذين كان يتفاخر بقدرته على التواصل معهم والحصول على تصريحات منهم يذهب بها لأي صحفي مطالبًا إياه بأن يكتبها له كخبر صحفي عليه اسمه باعتباره هو كاتبه.

بمجرد أن أصبح مديرًا لي لم يكن يتوقف هاتفي المحمول عن الصراخ المتواصل من مكالماته التي لا تنتهي ولا تنتهي معها طلباته -العبيطة-

وأوامره السخيفة وتهديداته غير المباشرة لي بالفصل من العمل، وهو الأمر الذي كنت مضطرًا لتقبله كي لا أخسر وظيفتي، خصوصًا مع نصائح بعض الزملاء لي بأن -آخذه على قد عقله-.

حاولت قدر المستطاع أن أنفذ نصيحة الزملاء، ولكن مع حالة التوتر والقلق التي كان يصر -عصفور- على أن يجعلنا نعيشها باعتبارنا صحفيين يجب أن نظل مستيقظين ٢٤ ساعة في اليوم ونحن نبحث عن مادة صحفية ثرية، كما قال لي، فقد انفعلت في أحد المرات وهو يحادثني في الهاتف وقلت له إني يتصل بي كثيرًا دون داعٍ وأنا لست مضطرًا للرد عليه طالما أنهيت -ورديتي- في العمل، وهو الأمر الذي قابله هو الآخر بموجة غضب عارمة وتهديد صريح لي بالفصل من العمل.

ورغم حالة الغضب التي كانت تسيطر علي وقتها، فقد كنت مضطرًا للتراجع عن انفعالي والتفكير في نصيحة الزملاء وتحذيرهم لي من أن هذا الرجل على علاقة وطيدة برئيس التحرير الذي يعد واحدًا من كبار الإعلاميين والذي يعتبر -عصفور- واحدًا من أتباعه المخلصين ولا يمكن أن يرفض له طلبًا.

ومرت الأيام وأنا أتحمل سخافاته وغباواته وعدم قدرته على فهم طبيعة العمل وإصراره الشديد على أن يشعر أنه مدير يتحكم في مرؤوسيه ويصدر لهم الأوامر التي يجب أن ينفذوها دون مناقشة مثلما اعتاد هو أن يفعل لسنوات طويلة.

عرفت من تعاملي معه أن أزمته الحقيقية تمكن في أنه يعرف كم هو ضئيل وجاهل ولا يصدق أنه أصبح مديرًا في مؤسسة كبيرة مثل مؤسستنا التي احتلها مع رئيس التحرير الجديد الذي كان يتعمد تعيين خادميه مديرين في الجريدة لكي يسيطر على كافة مقاليد الأمور، لذلك حاولت في إحدى

مراحل تنفيذ نصيحة الزملاء أن أشعره بأهميته وقيمته كمدير ماهر تم وضعه في المكان الذي يناسب قدراته، على أمل أن يتركني أمارس عملي في هدوء ويتوقف عن إزعاجي بمكالماته السخيفة. . ولكن هيهات، فقد تزايدت مكالماته الهاتفية وتراكمت المشكلات والمشاجرات التي لم أعتد عليها من قبل، وأصبح القلق يسيطر علي طول الوقت وتزايدت تهديداته بالفصل من العمل.

كنت ألجأ، من وقت لآخر، إلى أحد مديرين التحرير القدامى في الجريدة لكي يحاول أن يحل لي مشكلة حاتم عصفور المهووس بإجراء المكالمات الهاتفية طوال اليوم وفي أي وقت، ولكنه – مدير التحرير القديم – لم يكن يستطيع أن يفعل شيئًا حيال العصفور الذي يعتبر من حاشية رئيس التحرير الذي يطل علينا من وقت لآخر وهو يتحدث بحماس شديد عن ضرورة محاربة الفساد والفاسدين.

وتأزمت المشكلة أكثر وأكثر وزادت الضغوط وساءت الحالة النفسية حتى حدث ما كنت أحاول دائماً تجنبه. . فالكبت يولد الانفجار. . انفجرت في حاتم عصفور عندما كان يهددني كالمعتاد، وتناسيت مسئولياتي التي أجبرتني على تحمل الاستمرار في العمل في هذا المكان -النجس-، وأخبرته صراحةً عن نيتي ترك العمل بمجرد الحصول على راتبي الضئيل، وهو الأمر الذي حاول بعض الزملاء إرجاعي عنه.

ألح علي بعض الزملاء لكي أبقى وأحتمل مهما كانت الظروف، وانتهت المشكلة على لاشيء مثلها مثل سابقاتها من المشكلات السخيفة.

وجاء اليوم الذي دائمًا ما يطول انتظاره. . يوم قبض المرتبات، توجهت إلى موظف الحسابات واستلمت راتبي الضئيل وعدت إلى مكتبي وجلست

أمام حاسبي الآلي وكتبت استقالة ذكرت فيها ٧ أسباب كلها متعلقة بحاتم عصفور.
توجهت إلى مكتب رئيس التحرير الفاسد وقدمتها لمدير مكتبه الفاسد وعندما قرأها بُهت مما كتبته عن مديري الفاسد ولم أترك له ما يقوله، فتركته وانصرفت.
ورغم قناعتي بأن تقديم الاستقالة من هذا المكان أمر ضروري إلا أنني كنت آمل أن يحقق رئيس التحرير الفاسد في السبع نقاط التي ذكرتها بشأن المدير الغبي الفاسد، ولكني فوجئت بعد أقل من ساعتين بأحدهم يتصل بي ويخبرني بأن رئيس التحرير الفاسد قبلها دفاعًا عن كرامة خادمه المخلص الذي لن يصدق يومًا ما أنه أصبح مديرًا.

*****

انتقام

لم تقرأ كتابا واحدا طوال سنوات عمرها البالغة ٢٦ عامًا، فقط استمدت ثقافتها من التلفاز والأغاني المصورة بطريقة -الفيديو كليب-، وأفلام السينما الأمريكية المبهرة. وهو ما جعل طموحها في الحياة يقتصر على الزواج من واحد يشبه أبطال ما اعتادت على مشاهدته، وهو الطموح الذي تنازلت عنه بعد أن تجاوز عمرها الخامسة والعشرين، لتقبل الزواج من عريس -جاهز من مجاميعه-، يمتلك شقة فاخرة بأحد الأحياء الراقية وسيارة موديل حديث، ويشغل منصبا مرموقا بإحدى الشركات التي التحق للعمل بها بتوصية من أحد أقاربه.

ومرت الشهور الأولى لزواجها من المدير المرموق مخيبة للآمال والطموح، فهو – عدا إمكانياته المادية ومركزه الاجتماعي الجيد- لا يشبه أبطالها المفضلين بأي شكل من الأشكال، شاب نحيف لم يمارس الرياضة طوال سنوات عمره البالغة ٣٠ عامًا، وهو بالطبع ما جعلها تشعر بضآلته منذ أن تفحصت هيئته في أول لقاء جمعها به في صالون بيتها، فقررت على الفور أن ترفض عرض الزواج المقدم منه، إلا أنها، وبعد استشارة صديقتها المقربة، التي حصلت مؤخرًا على لقب -مطلقة-، قررت أن تقبل الزواج منه بدلًا من انتظار فرصة قد تتأخر كثيرًا وقد لا تأتي أبدأ.

رغم محاولاتها المستمرة لتجاهل -عيب- زوجها كرجل نحيف غير مفتول العضلات، إلا أن جميع تلك المحاولات باءت بالفشل، حتى اضطرت ذات يوم أن تعلنها له صراحةً وتقول له إنها لا تحب شكل جسمه، لتثير بداخله .مشاعر دهشة تحولت لاستنكار شديد تبعه باتهامه لها بالتفاهة والسطحية ورغم قناعته بتفاهة أفكارها وسطحيتها إلا أن الأمر أزعجه كثيرًا وأرق

حياته وجعله يشعر نفس شعورها بالضآلة، وأصبح مدركًا تمامًا أنه بصدد مشكلة ليس لها حل، خاصةٌ بعد أن حاول أن يتناول الطعام بكميات أكبر بمساعدة فاتح شهية من نوع مستورد، ليحصل على نتيجة تكاد لا تُذكر.
واستحوذ الموضوع على جزء كبير من تفكيره لدرجة جعلته مرتبكًا متوترًا بشكل لاحظه من يعملون معه، وحاول بعضهم أن يعرف السبب فلم يجد ما يقوله خوفًا من تفاقم المشكلة التي لم يكن يضعها في الحسبان.
وذات يوم، وبينما كان عائدًا من عمله، دخل شقته حزينًا مهمومًا، لتقع عينيه، أول ما وقعت، على زوجته وهي تعلق صورًا على الحائط بشكل عشوائي، وعندما اقترب منها أصابه ضيق شديد عندما رأى الصور بوضوح، صورًا لبعض -موديلز- الإعلانات الذين يتسمون بالوسامة الشديدة والأجسام مفتولة العضلات، هذا إلى جانب بعض نجوم أفلام -الأكشن- الأمريكية الذين استطاع أن يميز من بينهم -سيلفستر ستالون- المعروف لدى البعض باسم -رامبو-، فنظر إلى زوجته بحنق شديد واندفع إلى حجرته وهو يكاد يختنق غيظًا.
ولم يكد يجلس على السرير حتى وقعت عينيه على بطاقة دعائية لأحد صالات الألعاب الرياضية لينظر في اتجاه باب الغرفة بغيظ شديد ويطوي البطاقة بغضب وقد فهم أن زوجته هي من وضعتها له على -الكومودو- لمساعدته في إيجاد حلًا لمشكلتهما.
وفكر جيدًا في تعنيفها والاعتداء عليها بالضرب لكي تستفيق من أفكارها التافهة ولكن شجاعته خانته وسيطر عليه إحساسا ما بالضعف وقلة الحيلة، فأعاد تعديل بطاقة صالة الألعاب الرياضية واتصل بأحد الأرقام المكتوبة عليها:

- آلو. . روك جيم؟ لو سمحت عايز أعرف نظام الاشتراك في الصالة والمواعيد إيه؟. . أنا رفيع شوية وعايز وزني يزيد ويبقى عندي عضلات. . ٣ مرات في الأسبوع؟ طب ما ينفعش كل يوم؟. . أه الأحسن لي أنا ٣ مرات؟ وبعد مرور ٤ أشهر من التمرين المتواصل بصالة الألعاب الرياضية، تعرض خلالها لبعض الإصابات الطفيفة ونظرات سخرية لاذعة من لاعبي كمال أجسام مخضرمين كشف بعضهم له عن دهشته من عدم قدرته على تحقيق تقدم يذكر في الأوزان التي يمارس تمريناته بها، شعر أن المشكلة أكبر من إمكانياته بكثير، خاصةً عندما أخافه بعض زملاؤه في الصالة من تناول أي مستحضرات من شأنها إكسابه وزنًا عضليًا في فترة زمنية قصيرة، مؤكدين أنها تدمر الجسم وستصيبه حتمًا بالعجز الجنسي والعقم.

لقد بذل مجهودًا كبيرًا في التمرين وعانى من ضغط عصبي أثر على حالته النفسية سلبًا ولم يجد في استطاعته ما يمكن أن يفعله سوى أن يمزق واحدة من الصور التي كانت قد علقتها زوجته اللعينة على الحائط، فعل ذلك بعد عودته من صالة الألعاب الرياضية محبطًا مهزومًا، واستطاع أن يفعل ذلك عندما عاد وتأكد أن زوجته نائمة.

واستمرت الأفكار السلبية تطارده واستحوذ الموضوع على تفكيره أكثر وأكثر لدرجة جعلته يتوقف في أحد الأيام بعد أن دخل من باب الشركة التي يعمل مديرًا بها ليلتفت خلفه ويتفحص الشاب مفتول العضلات الذي يعمل فرد أمن بالشركة ويجلس يوميًا عند بابها، التفت له وأخذ ينظر لعضلاته المفتولة وكأنه يشاهده لأول مرة، تفحصه بعناية وتوجه إلى مكتبه الفخم وبداخله أفكارًا مشوشة.

الشاب المفتول العضلات يجلس حزينًا على مقعده بجوار باب الشركة يفكر

في تلك العملية الجراحية التي يجب أن تخضع لها والدته، والتي تحتاج لمبلغ كبير من المال ليس في استطاعته تدبيره وهو حارس الأمن الذي يتقاضى مرتبًا ضئيلًا بعد أن حصل على دبلوم مدرسة الصنايع وأخذ يتنقل من مهنة إلى أخرى حتى استقر في تلك المهنة التي لا تحتاج إلى مجهود أو مؤهلات سوى تلك العضلات المفتولة التي لفتت انتباه المدير النحيف لأول مرة.

تأتي له مكالمة هاتفية من أمه ويؤكد لها أنه تقدم بطلب للحصول على -سلفة- وتمت الموافقة عليها، ينهي معها المكالمة ويجلس حائرًا مترددًا وهو يفكر فيما سيقوله للمدير -النحيف- وهو يقدم له طلب الحصول على -السلفة- اللازمة لإجراء العملية الجراحية.

وبينما كان يفكر هو في المدير وكيفية إقناعه، كان المدير يفكر فيه أيضًا ويسأل السكرتيرة الواقفة أمامه عنه:

- هو الواد بتاع الأمن ده جه النهارده الساعة كام؟

- جه الساعة ٩ وتلت يافندم

تلمع عينيه بسعادة يحاول أن يخفيها بافتعال الغضب:

- ٩ تلت؟ وهو ميعاده ٩ ولا ٩ وتلت؟!

- أصل هو يافندم

يصيح بها بغضب:

- أصل هو مخصوم منه ٣ أيام. .

ويتدارك الموقف ويتابع بغضب أكثر

- ٣ أيام ايه؟ دي مش أول مرة يتأخر، ده يمشي أحسن، طلعي لي قرار بفصله دلوقت حالًا

تحاول السكرتيرة تهدئته:

- أصل هو يا أستاذ. .

يصرخ بها بانفعال شديد متعمدًا إخافتها:

- أنا أخدت قرار خلاص، لو انتي بقى عندك كلام تاني، يبقى تحصليه

تفاجأ السكرتيرة وتقف مرتبكة للحظات قبل أن تتدارك نفسها وتحرك رأسها علامة الموافقة وتنصرف من أمام المدير الذي يتابع شرب كوب -النسكافيه- الموضوع أمامه باستمتاع شديد وقد حقق انتصارًا ساحقًا على واحدًا من أعداؤه وأخاف سكرتيرة الشركة الحسناء التي بدت له أجمل وهي ترتعد أمام صوته المرتفع وتهديده لها بالفصل من العمل.

*****

الثلاجة

كانت المرة الأولى، و لم تكن الأخيرة، كنت في الصف الثالث الإعدادي، تلميذ يقال عنه انه متفوق، اكتشفت بعد ذلك انه تفوق وهمي ، أو وهم التفوق.

لم أكن أعي شيئًا في الحياة، لم أكن أقرأ غير كتب المدرسة، وأقرأها فقط لأني مجبر على قراءتها، فهذا هو روتين الحياة في مصر، تنجبك أمك، وفي سن معينة تلقى بك أمام قطار التعليم ليدهسك، من الحضانة إلى الجامعة مرورا بالإعدادي و الثانوي، إنها عربات قطار التعليم الذي لا يرحم

بداية الخروج عن الروتين الغير مفهوم كانت حصة العلوم، و بالتحديد درس -الثلاجة-،

ذلك الدرس الممل الذي ندرس فيه مكونات الثلاجة، و طريقة عملها

و كان التعليق من الطالب الفاشل -محمد على- لـ مدرس المادة -أستاذ عوض-

- محمد على : و ماينفعش نحط الأكل وهو سخن في التلاجة عشان ماتبوظش

- أستاذ عوض : ليه؟

- محمد على : أمي اللي دايمًا تقول لى كده

- أستاذ عوض : لأ غلط ، حطه عادى و مش هيجرالها حاجة

و كان التعليق الطريف المستفز من طالب آخر في الفصل:

- رامي أبو العلا : مين دى، أمه؟

- هاهاها

لم أنشغل بالموضوع و إذا كانت (اللي مش هيجرالها حاجة) هي الثلاجة أم

أُم -محمد على- ، لقد انشغلت بموضوع آخر ،
إنها أمي . . . . نعم ، أمي أنا ، و ليست أم -محمد على- ، و لتذهب أم محمد على إلى الجحيم
لقد كانت أمي تقول لى نفس الشيء :
- ماتحطش الأكل و هو سخن في التلاجة عشان ماتبوظش
و المدرس يقول : (لأ غلط ، حطه عادى و مش هيجرالها حاجة)
و كانت العودة إلى المنزل . .
العودة المصحوبة بنظرات ، هي مزيج من الدهشة و التساؤل ،
منذ عودتي إلى المنزل و أنا أنظر لأمي ، و أريد أن أسأل لأعرف ،
و فضلت الصمت ، و الانتظار
الانتظار حتى تنتهي من إعداد طعام الغداء، الطعام الساخن ، يجب أن يكون ساخن ، و يجب أن أضعه في الثلاجة و هو ساخن ، و يجب أن أنتظر رد فعل أمي . . . . و . . . كان رد الفعل كالمعتاد
أمي : ماتحطش الأكل و هو سخن في التلاجة عشان ماتبوظش
و كانت المواجهة . .
بين رأى أمي التي تخاف على ثلاجتها، و رأى -أستاذ عوض-الذي يُدرس مادة العلوم،
و لم تغير أمي رأيها ، ولم أستذكر أيًّا من دروسي في هذا اليوم، و لم أستطع النوم، كانت الحيرة تأكل عقلي، و صورة الثلاجة الملتهبة تطاردني حتى الصباح، حتى الذهاب إلى المدرسة، حتى دخول الفصل، وحتى حصة العلوم، كان عندي أمل أن يغير -أستاذ عوض- رأيه و يقول أنه كان يمزح بالأمس ، ولكنه أصر على رأيه و أن الثلاجة (مش هيجرالها حاجة) ، وانتهت الحصة،

وتلتها حصة التاريخ، كانت حصة مراجعة، الحملة الفرنسية على مصر، ثورة ١٩١٩ و قائدها -سعد باشا زغلول-، كنت أستمع إلى الأحداث باهتمام أقل مما سبق، حتى توقفت فجأة عند الاحتلال الانجليزي لمصر، والذي استمر ما يقرب من ٧٠ سنة،

الإنجليز ظلوا في مصر ما يقرب من ٧٠سنة ، و بالطبع كانوا يتحدثون بلغتهم، هل هذا ممكن؟

يحدثوننا طوال هذه الفترة بلغتهم الإنجليزية ولم نتعلمها، و بإتقان؟

إن -محمد على- ـ سبب المأساة ـ لا يعرف حتى الآن الفرق بين p و b ، وليس هو وحده، إن معظم طلاب الفصل كذلك، -أحمد محمد السعيد- الذي لا يفعل شيء في حياته سوى المذاكرة، رسب في مادة اللغة الإنجليزية، هل هذا معقول؟

عدت إلى المنزل و الحيرة تأكل رأسي من ناحية والشك من ناحية أخرى ولم أستطع المذاكرة، فقد كانت الثلاجة بالقرب من مكتبي، لم أستطع أن أبعد نظري عن الثلاجة، ظلت تطاردني، اقتربت منها بحذر وأنا أدقق النظر بها، كانت نظراتي مختلفة عن سابقتها،

نظرات من يبحث عن سر خطير أو يكتشف حقيقة تائهة، ولم أعثر على شيء،

وفتحت باب الثلاجة على أمل أن أجد بداخلها ما يطفئ ناري، ظللت أدقق النظر بها، مكرونة، طماطم، زجاجات مياه، محشي، لا لا، ليس هذا ما أبحث عنه و . . . . وفجأة صرخت بي أمي : أوعى تحط الأكل سخن في التلاجة.

أغلقت باب الثلاجة مذعورًا وذهبت إلى سريري، و لم أستطع النوم.

في اليوم التالي كنت أسير بخطوات مترددة في طريقي إلى المدرسة، و وصلت متأخرًا.
دخلت من باب المدرسة، اتجهت إلى الفصل، وعندما اقتربت كان صوت أستاذ عوض من داخل الفصل
أستاذ عوض : وممكن عادى تحط الأكل و هو سخن في التلاجة - مش هيجرالها حاجة.
توقفت خارج الفصل للحظات ، و . . . .
توجهت إلى باب المدرسة، وجدته مازال مفتوحًا،
خرجت من المدرسة، لم أذهب إلى الثلاجة، أقصد إلى المنزل، ولم أكن أعرف إلى أين أنا ذاهب.

*****

من ثاني نظرة

لم أحبها من أول نظرة كما يحدث في بعض الأفلام، ربما كانت النظرة الثانية أو الثالثة هي التي جذبتني إليها، عندما جاءت عيني في عينيها ولاحظت انتباهها لي وأنا لا افعل أي شيء يجذب انتباه أي أحد في اجتماع للطلبة المتميزين بمدرستنا الإعدادية.

فتاة جذابة أكثر ما هي جميلة، كيف لم ألحظ تلك الفتاة من قبل وقد جمعنا أكثر من اجتماع بالمدرسة! ربما لأنني لم أكن أحب تلك الاجتماعات الروتينية السخيفة التي كانت تشعرني بمسئولية ملقاة على عاتقي، وربما لأنني لم أكن أجد نفسي مناسبًا للتواجد وسط الطلبة المتفوقين رغم أنني كنت أحسب عليهم.

حدث ما حدث وأصبحت أتلهف لحضور الاجتماعات، التي كنت أراها سخيفة، لأكون بالقرب منها، وعلى أمل أن أنتهز أية فرصة لأتحدث معها أو تنتهز هي فرصة وتتحدث معي، ولكن هيهات. . لم تأت الفرصة ولم نحاول أن نختلقها وأنا الطالب المرتبك دائمًا وهي الفتاة الخجولة التي غيرت حياتي بعد أن وقعت في حبها. وأدركت أن تلك الاجتماعات لن تعود علي بشيء في علاقتي بها، فكرهتها وأصبحت أراها سخيفة أكثر مما كنت أراها قبل أن تسحرني النظرة الجذابة.

وتغيرت حياتي بشكل كبير وأصبحت أفكر فيها أكثر مما أفكر في الكتب الدراسية اللعينة، وأصبحت أغادر المدرسة إلى بيتي حزيناً محبطاً بعد أن فشلت في التحدث معها، أذهب إلى البيت وأتعجل النوم لكي أصحو وأذهب للمدرسة لرؤيتها حتى وصل بي الحال لأن أصبحت أنام نحو ١٢ ساعة يوميًا.

وبينما أنا غارقًا في مشكلتي مهمومًا بها فاجأتني مشكلة جديدة حملها لي أحد زملائي في الفصل، والذي اختارني أنا دونًا عن باقي الزملاء ليفصح لي عن حبه الشديد لفتاتي طالبًا مني النصيحة التي تقربه منها وتجعله قادرًا على البوح لها بمشاعره التي جعلته ينام ١٢ ساعة يوميًا.

تغلبت على ذهولي وحاولت أن أبدو هادئًا أمامه لا يربكني فقط سوى معرفتي بأنه يحب فتاة ويحاول التقرب منها، وسألني:

- مالك؟

- أبدًا. . هو انت اتكلمت معاها؟

- لأ

- خالص؟

- خالص. . ببص لها بس

- وهي بتبص لك؟

- مش عارف

أغاظتني إجابته الأخيرة ولم أتمالك نفسي وقلت له بغضب:

- هو ايه اللي مش عارف يا روح أمك؟ ما هو يا إما بتبص لك يا إما انت مش في دماغها وبتحب واحد تاني

- مين ده؟

حاولت السيطرة على هدوء أعصابي أمام إجاباته الغبية وفجأة جاءتني فكرة شيطانية نفذتها على الفور دون أن أفكر في عواقبها:

- بص. . بصراحة البت دي مش كويسة، دي كل يوم ماشية مع واحد وبتاخد منهم هدايا، أنا نفسي خرجت معاها ولما لاقيتها عايزة تتسنكح عليا بطلت اكلمها.

نزل الخبر على رأسه كالصاعقة ولم يصدق أن تكون حبيبته بهذه الأخلاق الوضيعة، ولكن مع إصراري على ما أقوله ومع اقتراحي عليه بأن يسأل فلان وفلان ليؤكدوا له صحة كلامي، قرر الاستسلام والتصديق وهو في حالة من الحزن لم تحرك أيًّا من مشاعر التعاطف بداخلي.

وحدث ما لم أكن أتوقعه، فقد قرر زميلي الغبي الانتقام من الفتاة التي أحببناها والتي اعتبرها هو خائنة لم تكن تستحق حبه والساعات الطويلة التي أمضاها وهو يفكر فيها، وبقدر مشاعر الحب الجارفة التي كان يحملها للفتاة قبل أن يتحدث معي عنها، بقدر مشاعر الكراهية والاحتقار التي حملها لها بعد معرفته بـ -حقيقتها- التي اختلقتها أنا.

ورأي الغبي أن خير وسيلة للانتقام من حبيبته -الخائنة- هي أن يحذر الجميع منها لكي يقطع عليها كل السبل لممارسة هوايتها في -السنكحة- على عشاقها، فراح يفشي -سرها- الذي عرفه مني وأخذ يثرثر مع كل من هب ودب عن تلك الفتاة اللعوب ويقنع نفسه والآخرين أنه يتحدث عنها فقط ليحذر الآخرين منها ولكي لا يزيد عدد ضحاياها واحدًا من زملائه الأعزاء، ويبدو مما سمعته عنها أنه كان يتفنن في حكي قصة الفتاة -السنكوحة- ويضيف إليها بعضًا من -الفلفل والشطة-.

وبعدما كنت مشغولًا فقط بمتابعة حبيبتي ومحاولة خلق فرصة للتحدث معها والتعبير لها عن مشاعري، أصبحت أيضًا أتابع ما يصلني من أخبار عن مغامراتها العاطفية التي لوثت سمعتها.

ومرت الأيام رمادية ثقيلة وأنا قلقًا حائرًا بين حبي لها وبين أخبار مغامراتها العاطفية التي تجاوزت مجرد -السنكحة- على بعض الزملاء، وفي هذا الوقت الرمادي الثقيل جاءت لي الفرصة عندما طالبتني الأخصائية الاجتماعية

بالتواصل مع فتاتي لتنظيم أحد الأنشطة المدرسية. وجلست معها أكثر من مرة منفردين في مكتب الأخصائية الاجتماعية، ولم أجرؤ على الاعتراف لها بحبي، وهو الأمر الذي استفزها وجعلها تقرر البدء، فكتبت لي خطابًا مقتضبًا باحت فيه بحبها لي، وأعطتني الخطاب خلسة في آخر اجتماع لنا بالمكتب وانصرفت على الفور.

أخذت الخطاب وقلبي تتسارع دقاته بعنف، وأسرعت به إلى الحديقة الخلفية للمدرسة التي وجدتها خالية كعادتها، فتحت الخطاب وقرأت كلمات الحب به أكثر من مرة وأنا في شدة الاضطراب والسعادة، وخبأته في جيب معطفي السحري وذهبت إلى الفصل وأنا أشعر أن نظرات جميع الزملاء تلتهمني.

ومرت دقائق الحصة الأخيرة المتبقية دون أن أشعر بها وأنا في حالة من عدم الاتزان، وجاء موعد الخروج من المدرسة، فأسرعت أخرج بمفردي على غير العادة ورأيت حبيبتي بالقرب من باب المدرسة فوقفت أتبادل معها النظرات بسعادة شديدة، وأخرجت الخطاب من جيب المعطف ومزقته وألقيته على الأرض وابتعدت بعد أن قررت ألا أرتبط بفتاة سيئة السمعة.

*****

المدير

استيقظ من نومه وعقد العزم على مواجهة مديره الظالم الذي يصر على مضايقته، وعندما ذهب إلى العمل علم أن المدير تم استبداله بآخر، وهو ما أصابه بالقلق الشديد من ذلك المدير المجهول، وتمنى بداخله أن يعود مديره الذي اعتاد على مضايقاته.

*****

الكنز

في طريقه الطويل للاستحواذ على الكنز كان يتخلص من معاونيه الذين يتخاذلون عن أداء واجباتهم، وهو ما كان يفرض عليه مزيدا من الجهد والمعاناة، إلا انه عندما وصل لنهاية الطريق وجد نفسه وقد أصبح الكنز من نصيبه وحده.

*****

تهنئة

جاء يوم ميلاده ولم تتذكره زوجته بتهنئة، وعندما جاء يوم ميلادها، تعمد أن يتجاهله، فما كان منها إلا أنا ألقت عليه اللوم واتهمته بالتقصير واللامبالاة، فوعدها أن يصلح غلطته، يوم عيد ميلادها القادم، وجاء اليوم الذي انتظرته عامًا كاملًا ففاجئها بإرسال ورقة الطلاق.

*****

سؤال

سألها عن سبب عدم ارتباطها رغم تجاوزها منتصف العشرينات لا لشيء سوى أن يذكرها بما يجبرها على التعامل معه باحترام.

*****

تواصل اجتماعي

فشلت في إقناع شخص واحد أن يتزوجها، ونجحت في أن تنال إعجاب الكثيرين عبر مواقع التواصل الاجتماعي بكلام فارغ تكتبه. فانغمست بكل حواسها في العالم الافتراضي واعتبرته منصفاً لأنوثتها وذكاءها الحاد وثقافتها الواسعة.

*****

تدهور

لاحظ تعثر ابنه في مدرسته الابتدائية وتدهور مستواه الدراسي، فاشترى له مجموعة أقلام باهظة الثمن، فتدهور مستواه أكثر.

*****